(٤) ينبغي أن نعتقد أننا ــ معشر السائرين على هدي المصطفى ﷺ ــ أننا سنرث الأرض من بعد أهلها ، بعد أن يصيبهم الله بذنوبهم ، وأن نسكن في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وأن نجعل من كلمة الرسول ﷺ لسراقة ﷺ مثلاً يردده بعضنا لبعض ، لنثير الهمم ، ونقتل اليأس في النفوس .

الموقف الرابع .

موقف النبي ﷺ من أصحابه حينما استعصت أمامهم الصخرة يوم **الخندق:** فقد شكا المجاهدون إلى رسول الله ﷺ صخرة تعترض طريق عملهم في الخندق عز عليهم فلقها ، فأخذ الرسول ﷺ معوله فكسرها في ثلاث ، فقال في الأولى : **الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة** ، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: **الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن** ، ثم ضرب الثالثة وقال : بسم الله ، فقطع بقية الحجر ، فقال : **الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة .** (٧٠)

إن تلك الصخرة المباركة قد أودع الله فيها أسرارا عظيمة ، وانطلقت منها البشريات الجميلة ، لقد سمع المسلمون تلك البشريات حينما وصلوا إلى تلك الصخرة ، وما وصلوا إليها إلا بعد عرق ثمين منهم قد سكب حولها ليهيل ما حولها من أتربة لتسطع أمامهم ثم تتأبى عليهم فلا تفتح

(٧٠) أنظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٧/٤٥٨ ، وانظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص٣٦٠ ، وفقه السيرة لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ص٣١٧ ط٨ مطبعة حسان ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

أبوابها إلا لرسول الله ﷺ لتقول لهم ــ بلسان حالها ــ لن تحققوا تلك البشريات العظيمة إلا بطاعتكم لزعيمكم رسول رب العالمين ﷺ .

إن بيننا وبين التحصن من أعدائنا صخرات كؤود فيها أسرار ، لن تكسو إلا إذا كسرنا جمودنا ، ولن تفتت إلا إذا فتتنا المادية في قلوبنا وتجردنا ، حينئذ ستحدث أخبارها بأن ربك مهلك أعدائنا بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين . أ٠هـ .

[٢] ما بشر به النبي ﷺ من أقوال مأثورة .

قوله ﷺ :-

(١) **ليبلغن هذا الأمر ــ أمر الإسلام ــ ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر .**"[٧١]

" ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار : انتشاره في الأرض كلها حيث يبلغ الليل والنهار ، ودخول هذا الدين الحواضر والبوادي ، فالحواضر هي التي بيوتها من مدر ــ أي من حجر ــ والبوادي هي التي بيوتها من وبر وشعر ، وسيدخل الإسلام جميعها ، وبهذا يتحقق وعد الله ﷻ في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..﴾ التوبة ٣٣ ، الفتح ٢٨، الصف٩ .

ومعنى ظهوره على الدين كله غلبته على جميع الأديان . " [٧٢]

---

(٧١) رواه أحمد في مسنده ١٠٣/٤ .

(٧٢) د٠يوسف القرضاوي ــ المبشرات بانتصار الإسلام ص٢٧-٢٨ ط١مكتبة وهبة ١٩٩٦م.

وهذه البشرى لم تتحقق بعد ، فهي وعد بتمكين شامل للمسلمين في كل شبر في الأرض ؛ لأن غلبة المسلمين الأولى قبل سقوط الخلافة الإسلامية ١٩٢٤م كانت على كثير من الدول لا كل الدول كما نص الرسول ﷺ .

إذاً ونحن نقرأ هذا الحديث فلابد وأن ننتظر هذا اليوم انتظار العاملين الواثقين .

(٢) " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. "(٧٣)

(٧٣) الحديث صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٣/١٨ عن ثوبان ﷺ ، وفي سنن أبي داود كتاب الفتن والملاحم ٩٥/٤ برقم ى٤٢٥٢ ، ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد عن ثوبان ﷺ ــ صحيح الجامع الصغير رقم ١٧٧٣ .

والحديث ملئ بالفوائد ولذا أدرجه بتمامه هنا : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها و إن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها و إني أعطيت الكنزين الأحمر و الأبيض و إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسنة عامة و لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم و إن ربي عز و جل قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد و إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة و أن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم و لو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضا و إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين و إذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة و لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان و إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي و لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . " صدق رسول الله ﷺ .

زوى جمع ، قال **النووي** [٧٤] :- " وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر النبي ﷺ ، قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام ، فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب ، وهكذا وقع ، وأما في جهة الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب ، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى . "

وفي هذا الحديث عموم وخصوص ، فالعموم هو رؤيته ﷺ لمشارق الأرض ومغاربها التي أقسم الله بها ، وليس وراءها شيء فالأرض كلها مشارق ومغارب ، وأن ملك الأمة الإسلامية سيظهر عليها كظهور الشروق والغروب كما في الحديث الأول .

أما الخصوص فهو في إتيانه الكنزين ، فهو من قبيل الخاص بعد العام ليصرف النبي العدنان ﷺ عن الأذهان ظناً أن ملك الأرض لن يكون مع زوال مملكتي فارس والروم لأنه كان عند العرب من الأمور البعيدة ، فأفرد ذكرهما ليطمئن العرب " المسلمون " إلى أن هاتين القوتين هما أول قوتين سينتصر عليهما المسلمون العرب .

(٣) **" لا تقوم الساعة حتى يكثر المال و يفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه و حتى تعود أرض العرب مروجاً و أنهاراً ."** [٧٥]

---

(٧٤) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٨ وما بعدها .

(٧٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب كل نوع من المعروف صدقة ٩٦/٧-٩٧ ـ صحيح الجامع الصغير رقم ٧٤٢٩ .

وفي رواية أخرى :" **ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه ...** " (٧٦)

وفي هذا الحديث بشارة من النبي ﷺ إلى سبق المسلمين على غيرهم ، وإشارة واضحة إلى قوة الاقتصاد الإسلامي آنئذ ، الذي لا يرقى إليه اقتصاد لدرجة أنه لن يعود فقير واحد على وجه الأرض من المسلمين ، حتى أن صاحب المال ليهم ، أي يحزن حزناً شديداً يذيب شحمه لأنه لم يجد وعاءاً للزكاة ؛ لأن " ثم" للتراخي فيعطي التعبير بها إيحاءاً بطول البحث وعنائه من غير فائدة .

تعود أرض المسلمين مروجاً وأنهاراً ، وذلك بسبب رجوعهم إلى الله ﷻ وإيمانهم به ، فيكون ذلك تحقيقاً لوعد الله منهم : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...**﴾ الأعراف ٩٦.

وهذا الحديث يفتح آفاقاً رحبة وآمالاً واسعة أمام المسلمين ينطلقون على ضوئها لتحقيق الرخاء لهم ، والسيطرة على الاقتصاد العلمي ، وضرب الأسواق اليهودية التي احتكرت الأسواق العالمية ، ولا يخفى علينا ما للاقتصاد من أهمية في بسط نفوذ صاحبه كما يشاء .

(٤) " **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها،ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ،ثم سكت.**" (٧٧)

---

(٧٦) المصدر السابق .

(٧٧) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٧٣ .

يقول د٠ **القرضاوي** : " فهذا الحديث يبشر بانقشاع عهود الاستبداد والظلم والطغيان وعودة الخلافة الراشدة المتبعة لمنهاج النبوة في إقامة العدل والشورى ، ورعاية حدود الله وحقوق العباد ."[٧٨]

إنه ذلك اليوم السعيد الذي ستحيا فيه الأمة الإسلامية حياة راشدة بعيدة عن الفواحش والمنكرات التي تقرع سمعها وتزكم أنوفها صباح مساء :

﴿ ... ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .﴾ الروم٤-٦.

(٥) " **تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله .**"[٧٩]

وفي رواية أخرى " **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر فيقول : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله .** "[٨٠]

تفيد الروايتان أن اليهود يدبرون لمعركة فاصلة ، وهذا ما يوحيه " تقاتلكم " يظنون عندها أنهم قادرون عليها ــ الأرض ــ حينئذ يأتيهم

---

(٧٨) المبشرات بانتصار الإسلام ص٣٣-٣٤ .

(٧٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عمر ــ صحيح الجامع الصغير ٢٩٧٧ .

(٨٠) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الفتن رقم ٨٠ ــ ٤/٢٢٣٨-٢٢٣٩ عن ابن عمر ﷺ ، ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ ــ صحيح الجامع الصغير رقم ٧٤١٤. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ بلفظ : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر و الشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود . " ــ صحيح الجامع الصغير رقم ٧٤٢٧.

أمر الله فيجعلهم حصيدا كأن لم يغنوا بالأمس ، حينئذ لن تغني عنهم حصونهم ولا أسلحتهم من الله شيئا .

ستنطق المستوطنات اليهودية التي يوسعون بها حوزتهم على الأرض التي سرقوها ، ستنطق الأزهار والأشجار التي يستظلون بها ويتسمون عبيرها ، سيكون كل شيء عليهم جندا ربانيا يطبق فيهم سنته ، ويحقق عليهم وعيده .

يقول د٠رؤوف شلبي :- " وأيم الله لتعود القدس ، فإن القدس ــ وأيم الله ــ لعائد يوم يبعث الله عبادا له يجوسون خلال الديار ، وكان وعد الله مفعولا . "(٨١)

وليس المراد هو عودة القدس فقط إنما إنهاء هذا الكيان الفاسد الذي جر البلاء والشقاء على البشرية ، المراد هو عودة السيادة للأمة الإسلامية لتملأ الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلاما وجورا .

يقول د٠ **القرضاوي** : - " إن كل شيء سيكون في صالح المسلمين ، وضد أعدائهم اليهود ، وأن النصر آت لا ريب فيه ، وأن أسطورة " القوة التي لا تقهر " التي يشيعها اليهود لن تستمر ، وأن الذين اغتصبوا فلسطين بقوة السلاح وسلاح القوة ، سيخذلهم الله الذي يملي للظالمين ، ثم يأخذهم أخذا أليما شديدا ، ولن تغني عنهم ترسانتهم النووية التي يدلون بها ، كما لم تغن حصونهم أسلافهم من بني النضير عنهم شيئا حين جاءهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين . " (٨٢)

---

(٨١) عودة القدس ــ هدية مجلة الأزهر رجب ١٤٠٥هـ ص٧٢ وما بعدها بتصرف .

(٨٢) المبشرات ص٣٥ .

• وبعد :-

فإن تلك الطائفة من الأحاديث النبوية المباركة التي تسمو بأنفسنا عن الحرج والكرب والضيق ، وترفرف بأرواحنا في أجواء عالم منا بقريب ، حافل بالنصر والتمكين والفتح المبين ، وعامر بالرخاء والنماء .

ونستطيع أن نلخص ما جاء فيها في كلمات :-

(١) أن المسلمين سيملكون الأرض شرقها وغربها وكل بقاعها من سهل أو جبل أو بر أو بحر .

(٢) وأنهم سيمتلكون قوة اقتصادية لم ير الناس لها مثلا .

(٣) وأن اليهود ــ الأسطورة التي لا تقهر ــ سوف تقهر ، حينما تتحول أسباب بقائها فلن تغن عنهم شيئا ، وسوف ينتهي كل كيان إلا كيان الأمة المسلمة .

﴿ ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا .﴾ الإسراء ٥١ .

وهناك مبشرات كثيرة من السنة أكتفي بما سبق خشية الإطالة ، وأوجز بعضها فيما يلي:-

(١) بقاء الطائفة المنصورة . (٨٣)

(٢) ظهور المجددين في كل قرن . (٨٤)

---

(٨٣) لقوله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس . " رواه مسلم بشرح النووي بلفظ مختلف / كتاب الإيمان باب نزول عيسى حاكما .

(٨٤) لقوله ﷺ : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها . " رواه أبو داود في كتاب الملاحم / باب ما يذكر في قرن المائة ١٠٦/٤-١٠٧ عن أبي هريرة ﷺ ، ورواه الحاكم والبيهقي في السنن عن أبي هريرة ــ صحيح الجامع الصغير للألباني ١٨٧٤ .

(٣) ظهور المهدي . (٨٥)

(٤) نزول المسيح عليه السلام . (٨٦)

ثانيا : ما دعت إليه السنة النبوية المباركة من إشاعة روح الأمل وبثه في النفوس ، وإدخال البشر والسرور عليهم.

لقد شرع لنا ديننا الحنيف من الآداب الإسلامية التي تلقي بظلال الأمل وتشيع البهجة في النفوس ، وهي كثيرة أذكر منها :-

(١) ما ضربه الرسول ﷺ من أمثلة تقريبية يجسد من خلالها سعة الأمل والرجاء في جانب الله ﷻ ، ومن ذلك قوله ﷺ : " **لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح.**" (٨٧)

---

(٨٥) لقوله ﷺ : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا " رواه أبو داود عن علي ﷺ كتاب الهدى برقم ٤٢٨٣ ــ ١٠٤/٤ ، ورواه أحمد عن علي ﷺ . وفي رواية لأبي داود عن ابن مسعود ﷺ :" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا . " ــ صحيح الجامع رقم: ٥٣٠٤ و٨١٦٠ .

(٨٦) لقوله ﷺ : " والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص ــ الإبل ــ فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد . " رواه مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكما ١٩٢/٢ عن أبي هريرة ﷺ .وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم ٦٠٩٩و٧٠٧٧ و٧٨٧٥ .

(٨٧) رواه مسلم بشرح النووي كتاب التوبة ٦١/١٧ وما بعدها .

في هذا المثال الرائع الذي يضربه الرسول ﷺ للقـــانطين مـــن فقدهـــم لعزائمهم وتفلت الإرادة منهم ، واستكانتهم لتلك الحالة وعضـــهم عليـــها بالنواجذ حتى يأتيهم الموت ، فبينما هم على تلك الحالة من اليأس فإذا بهم يجدون روحا تسري في كيانهم تخاطبهم أن باب رحمة الله فتحت أمـــامكم فأسرعوا بالدخول ولا تلتفتوا إلى الوراء فتهلكوا .

إن فرحة الله ﷻ أشد بهذا العبد الذي استقبل تلك الروح وأقبل على الله ، وفي هذا الحديث إشارة " إلى أن الفرج من الكـــرب ، وأن اليســـر مـــن العسر ، قال ﷻ ﴿**فإن مع العسر يسرا.إن مع العسر يسرا.**﴾الشرح ٥-٦. ولن يغلب عسر يسرين ، وفيه إشارة ــ كذلك ــ إلـــى أن الاستســـلام والخروج عن الحول والقوة سبب لحصول المطالب وبلوغ المآرب ." (٨٨)

بهذا الحديث يخاطب الرسول ﷺ البشر كلهم أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين من الذنوب والآثام ويفرح بعودتهم إليه فرحا أشد من فرحتـــه من وتر زاده ، وجلس ينتظر الموت ، إنه لمثل محسوس يستوعبه كـــل إنسان مهما كانت قدراته العقلية ضعفا أو قوة لئلا يكون لأصحاب الذنوب حجة بعدها ، فليس بعد هذه الفرصة فرصة .

(٢) ما رتبته السنة من ثواب عظيم لمن أشاع البهجـــة وأفســـح الأمـــل وأدخل السرور على نفس مسلم ، من ذلك :-

أ ــ من تجاوز عن معسر دينا.

لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قـــال : " **كـــان رجـــل يدايـــن الناس، وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه .** " (٨٩)

---

(٨٨) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للعلامة محمد علي بن محمد بن إبراهين بن علان الصديقي الشافعي المكي ج١/١١٦ تحقيق محمد حامد الفقي .

(٨٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الاستقراض باب حسن التقـــاضي ٥/٧١ برقـــم ٢٣٩١ عن حذيفة ﷺ بلفظ مختلف .

إن الدين هم بالليل ذل بالنهار ، وهو خوف محيط بأقطار النفس البشرية، وصنيع ذلك الرجل أنه كان يبعث رسولا من قبله لتأمين النفس من خوفها وكشط هذا الهم وذاك الذل ، لينقلب الرجل إلى أهله مسرورا بعد أن أدرك أن أمره بور ليستقبل الليل بنوم حافل بالهدوء النفسي ، والنهار بالحرية ، لقد أمن شر كل قارعة على بابه ، تلك التي كانت يسمعها من ذي قبل فيسري الهم والحزن إلى كيانه كله ويتنفس الصعداء ، إذا لم يكن الطارق صاحب الدين أو رسوله ، إنه قد أخرج المدين من سجن نفسه فكان جزاؤه أن يتجاوز عنه الله ﷻ ويرحمه من سجن جهنم .

ب ــ من اعتق رقبة .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه .** " (٩٠)

لماذا استحق المعتق هذا الثواب العظيم ؟

١- لأنه أنفق في سبيل الله ، فالعبد من مال سيده .

٢- أنه انتصر على غريزة التملك لوجه الله .

٣- أنه أخرج رجلا مسلما من ظلام العبودية إلى نور الحرية ، وفي ذلك من إدخال السرور عليه ما فيه ، لقد غلت آماله وطموحاته في قيد الرق فإذا بذلك المعتق قد فك عنه قيده وأطلق سراحه في دنيا الله الواسعة ليحقق آماله وليسعد بتملكه لنفسه .

ومن هنا كان فضل الله على المعتق أعظم .

---

(٩٠) المرجع السابق ــ كتاب العتق باب في العتق وفضله ١٧٤/٥ برقم ٢٥١٧ عن أبي هريرة ﷺ بلفظ مختلف .

ج ــ من عاد مريضا أو أطعم جائعا ، أو سقى ظامئا .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله ﷻ يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني . قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي .**" (٩١)

وفي هذا الحديث :-

(١) أن الأعمال الصالحة أن يقصد بها وجه الله ﷻ ، فالله الغني هو الذي قابل المرء ساعة سعيه في الخير ، فعند عيادة المريض تجد الله ، وعند إطعام الجائع ، وعند سقيا الظمآن تجد الله ، ومن هنا فإنه يجب إسقاط حظ الفرد حتى لا يحبط العمل ويضيع الأجر.

(٢) في هذا الحديث تجسيد لعظيم الثواب الذي ينتظر المسلم على قيامه بتلك الأعمال كما هو واضح في نص الحديث .

(٣) بين الأعمال الثلاثة قاسم مشترك وأمر جامع وهو إدخال السرور وبث روح الأمل ، فالمرض قريب بين الموت والعافية قد يطول

---

(٩١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٤٤٧/٢ باب عيادة المرضى رقم ٢٣٤ من حديث أبي هريرة ﷺ رقم ٥٢٠ ، مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض ١٢٥/١٦ عن أبي هريرة ﷺ .

وقد يقصر ، وقد يتباطأ المرء فيه وقد يسرع ، وغالبا ما يفرش هذا الطريق بالآلام ، خاصة إذا كان سعيه فيه أسرع .

ومن هنا فإنه يكون في مسيس الحاجة لمن يضمد له الجراح ويحيها بالآمال ، وهذا دور عواد المريض الذين يقطفون له من بساتين الأمل أجمل الزهرات ، ويطردون اليأس بالتفاؤل ، ومن روعة الإسلام وجماله أنه جعل " وقف " خداع المريض ، وخلاصته [٩٢]: أن يقف رجلان من وراء ستار خلف المريض بحيث يسمع صوتا ولا يدرك أنها خدعة مقصودة منهما ، فيسأل الأول الثاني : ماذا قال الطبيب بالأمس عن حالة المريض هذا ؟ فيقول : قال هو بخير وعافية ويوشك أن يحزم عافيته ويخرج من المستشفى .

هذان الرجلان قد جعل الإسلام لهما وقفا من المال للقيام بتلك الخدعة ، إنها لمسة حضارية رائقة سبق بها الإسلام .

أما إطعام الطعام فقد جعل له الإسلام مكانة شرعية وصلت إلى الفرضية كما في الزكاة التي فرضها الله على الغني إرضاءا للفقير ، ووسع نطاق دائرة إطعام الطعام ، وأخذت تلك الدائرة تأخذ ألوانا وصورا متعددة ، بل إنه جعل إطعام الطعام للفقراء والمعوزين أولى من حج التطوع .[٩٣]

كل هذا لأن حج التطوع يعود خيره على صاحبه أما الإطعام فهو الأمر الذي يتعدى خيره لغيره ، فإطعام الطعام وتسكين صوت المعدة التي تصغى إليه كل حواس الإنسان ، فلا تنتبه إلى أداء وظيفتها في الحياة ؛

---

(٩٢) أنظر كتاب من روائع حضارتنا ــ د٠مصطفى السباعي .

(٩٣) أنظر هذه القضية مفصلة في " فقه الأولويات " ــ د٠يوسف القرضاوي ص٢٤٨ وما بعدها.

وتظل مصغية إلى ذلك الصوت المكروب الذي ينئن من شدة الجوع حتى يخرقها ذلك الصوت ، فإذا بها ــ الحواس ــ تعيا وتخمد وقد تتودع من صاحبها ، والسبب في ذلك هو الجوع .

ومن هنا فرض الله إطعام الطعام وأوجبه ومن رسول الله ﷺ إطعام الطعام في المناسبات الدينية المختلفة [٩٤] من أجل إشاعة روح الحب والود والألفة ، والإلقاء في نفس الفقير الطمأنينة أنه لن يموت جوعا وسط هذا المجتمع الذي تكافل أفراده ، فهو جزء من كل كبير متنام .

فهل ترى بؤسا سيدرك ذلك الفقير يوما ما ؟

إن الهم لتن يصل إليه ، بل سوف تنقطع أوصال الهم حين يرى المجتمع حوله يسعى في رضاه .

(٤) أضف إلى هذا :

أ ــ تبسمك في وجه أخيك صدقة . [٩٥]

ب ــ من سعى في قضاء حاجة أخيه قضيت أم لم تقض . [٩٦]

---

(٩٤) أنظر تربية الأولاد في الإسلام ــ د٠عبد الله ناصح علوان ١٠٧/١ وفيه أنواع الأطعمة كالوليمة والعقيقة والوكيرة ... إلخ .

(٩٥) لقوله ﷺ : " كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك " رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وصدره في الصحيحين ــ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ٤٢١/٣ .

(٩٦) ليس أدل على ذلك من فعل عبد الله بن عباس بالرجل الذي قصده في أن يتوسط بينه وبين فلان للإصلاح بينهما فترك اعتكافه مبينا له أن من سعى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خير له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله ﷻ جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين " رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له ، والحاكم مختصرا وقال : صحيح الإسناد ــ انظر الترغيب والترهيب ١٥٠/٢ .

ج ــ تعجيل سوق البشرى للمسلم . (٩٧)

ثالثاً : موقف الرسول من التفاؤل والتشاؤم.

التفاؤل : تفاءل بالشيء تيمن به . الفأل : قول أو فعل يستبشر به . (٩٨)

والتشاؤم : الشؤم : الشر ، تشاءم تطير ، والمتشائم : المتطير . (٩٩)

والأشأم : المشؤوم .

ومن خلال هذا التعريف اللغوي الموجز ، يتبين لنا أن التفاؤل خير ، وأن التشاؤم شر ، وأن الإسلام دعا إلى الأولى وحذر من الثانية ، لقوله ﷺ : **" لا عدوى ولا طيرة ، وأحب الفأل . قيل : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال: الكلمة الطيبة . "** (١٠٠)

والطيرة هي التشاؤم ــ كما ذكر ابن حجر في الفتح ــ والتطير أمر عارض للإنسان وعلاجه أن لا يقعد الإنسان وإنما يمضي ويتوكل على الله ، فإنه لن يضره . (١٠١)

أما التفاؤل فهو الكلمة الطيبة التي تبث روح الأمل في المسلم وتدفعه إلى الأمام مجاهدة وحرصاً على الخير .

وعلى هذا حرص رسول الله ﷺ على إزالة كل واقع في المجتمع المسلم يثير التشاؤم ويدعو إليه ، وكان حريصاً على إذكاء روح التفاؤل بين الناس ، وأضرب لذلك مثالاً :

---

(٩٧) ومما هو مشهور في السيرة قول البشير لكعب بن مالك ﷺ أحد المخلفين عن غزوة تبوك : يا كعب بن مالك أبشر ، فعلمت أنه قد جاء فرج من الله ــ أنظر القصة بتمامها في السيرة النبوية لابن هشام ٣٩٥/٤ ، فقه السيرة للغزالي ص٤٣٣ .

(٩٨) المعجم الوجيز ٤٦٠ .

(٩٩) نفس المصدر ٣٣٢ .

(١٠٠) فتح الباري كتاب الطب باب الطيرة ٢٢٣/١٠ رقم ٥٧٥٤ بلفظ مختلف .

(١٠١) أنظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ٦٩/٤ .

* **الأسماء** : كان ﷺ إذا لم يعجبه اسم كان يغيره ، والهدف من ذلك انتزاع كل ما يثير التشاؤم في المجتمع ، وحتى لا يكون في الناس إلا الفأل الحسن ، من ذلك قوله ﷺ : " **إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم** " (١٠٢)

وجاءته امرأة تُدعى : عاصية ، فقال ﷺ : **أنت جميلة** . (١٠٣)

وجاء مرة رجل يدعى أصرم ، فغير النبي ﷺ اسمه وقال : **بل أنت زرعة.** (١٠٤)

فأصرم تثير التشاؤم ، فهي من القطع ، قال ﷻ ﴿ **فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴾ القلم ٢٠ .

فسماه اسماً يثير روح التفاؤل ويبث روح الأمل وهو الزرع الذي هو عنوان الحياة .

وعن سعيد بن المسيب ﷺ عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له : ما اسمك ؟ قال : حزن . قال : أنت سهل ، قال : لا ، السهل يوطأ ويمتهن، قال سعيد : فظننت أنه سيصيبنا بعدها حزونه . " (١٠٥)

---

(١٠٢) رواه أبو داود في السن كتاب الأدب باب تغيير الأسماء ٢٨٩/٤ برقم ٤٩٤٨ عن عبد الله ابن أبي زكرياء عن أبي الدرداء ، وقال : ابن أبي زكرياء لم يدرك أبا الدرداء ﷺ ، ورواه أحمد عنه أيضاً ــ ضعيف الجامع الصغير للألباني رقم ٢٠٣٦ .

(١٠٣) سنن أبي داود برقم ٤٩٥٢ .

(١٠٤) المرجع السابق برقم ٤٩٥٤ .

(١٠٥) السابق برقم ٤٩٥٦ .

فالرسول ﷺ لا يحب أن يكون هذا الاسم " حزن " في المجتمع حتى لا يثير الهم ولو من طرف خفي ، وللمرء من اسمه نصيب .

قال أبو داود : " وغير النبي ﷺ اسم العاص ، وعتلة ، وشيطان ، وغراب ، وحرب سماه سلماً ، وسمى المضطجع المنبعث ، وغير اسم الأرض التي تُسمى عَفِرة إلى خضرة ، وشعب الضلالة : شعب الهدى ، وبنو الزنية : بني الرشدة .. إلخ . "

قال أبو داود : تركت أسانيدها للاختصار . (١٠٦)

إنها نهضة عظيمة من النبي ﷺ لمحو التشاؤم مما تلوكه الألسنة ، ومما يقرع الآذان من أسماء قبيحة .(١٠٧)

وهذا جانب من جوانب عديدة عمل الرسول ﷺ على تحسينها ليترك المجتمع المسلم في فسحة من الأمل والتفاؤل واجتناب كل ما يثير في النفس ما يقعدها أو يؤثر في قيامها بدورها في الحياة .

---

(١٠٦) السابق ٤/٢٩١ بتصرف .

(١٠٧) راجع ــ بالتفصيل ــ تربية الأولاد في الإسلام ــ د٠عبد الله ناصح علوان ١/٨٣ وما بعدها .

المبحث الرابع .

واقع الأمة الإسلامية بين اليأس والأمل .

بعد أن رأينا أن الأمل ثمرة من ثمار الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن اليأس والقنوط لازمة من لوازم الكفر .

والمنهج القرآني في بث روح الأمل في نفوس الناس وأن ليس هناك مستحيل ، وكيف أن السنة في منهجها العظيم وهي تدعو إلى التفاؤل وتحرم التشاؤم واليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ ، نرى هل واقع الأمة الإسلامية يدعو إلى أي شيء من هذا ؟ إلى النكوص والقعود أم إلى الجهاد إلى تحقيق المجد والرفعة ؟

إن واقع الأمة الإسلامية اليوم واقع لا تُحسد عليه ، حيث إن وعيد نبيها ﷺ قد أصابها [١٠٨]، وما من يوم يمر على المسلمين إلا وتقرع آذانهم فجيعة، بل إنهم من هوانهم على أعدائهم صار عدوهم يمكر بهم كل يوم مكراً محاولاً به قطع أعضائهم ومحو آثارهم من مساكنهم التي سكنوها ، هذا فضلاً عن المصائب طويلة المدى كفلسطين وغيرها ، وهذا الواقع قد أغرى كثيراً من المسلمين باليأس باستعادة كل ما سلب منها .

إن كل مسلم غيور على دينه يتساءل : هل من خلاص لأمتنا ؟ وكيف ؟ وهل ستنهض يوماً ما ؟ وكيف ؟

([١٠٨]) وهو قوله ﷺ : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت . ــ رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام ١٠٨/٤ برقم ٤٢٩٧ عن ثوبان ﷺ .

إن الجواب عن هذا السؤال يرتكز على نقطتين :-

أولاً : بيان طبيعة الأمة الإسلامية .

فالأمة الإسلامية هي الأمة الوريثة وليست موروثة ، ورثت عقيد التوحيد ، وأقامت الدين لله بعد أن ضيعه اليهود والنصارى ، فاليهود والنصارى ضيعوا العقيدة وحرفوها عن مواضعها ، حتى صار ما بين أيديهم من تعاليم وبين ما ورثوه عن أنبيائهم بعد المشرقين ، أما الأمة الإسلامية فلا تزال ــ وستظل ــ تحتفظ بدينها وعقيدتها ، فشريعتها في حال غفلتها كما هي في حال يقظتها ، ليلها كنهارها ، فالمقوم العقدي والثقافي والأخلاقي .. إلخ ، هذه المقومات فيها على حالها كما نزل بها الوحي لم يمسسها سوء ، ولم يعترها تحريف ولا زيف ولا زيادة ولا نقصان .

من طبيعة هذه الأمة كذلك أنها قد تمرض لكنها لا تموت ، فيحدث التاريخ أنه قد مر عليها حين من الدهر كان المرض قد استشرى في أوصالها بصورة أشد فظاعة مما عليه الآن ، ففي ظل الحروب الصليبية المتكررة كانت الأمة الإسلامية في بعض الأحيان قد فشلت وذهب ريحها حتى دخل الصليبيون بلاد الإسلام وأقاموا فيها ممالك وإمارات ، وذلك بالتعاون مع الخونة من الأمراء ، ودخلوا بيت المقدس بعد مذبحة قُتل فيها عشرات الألوف ، وجرت الدماء فيها للركب ، وبقي الصليبيون في الشام نحو مائتي عام ، وبقي بيت المقدس في أيديهم تسعين سنة كاملة .

وظن الصليبيون أن الأمة الإسلامية قد انتهت ، وأن سلطانها فوق رقابها سوف يدوم ، لكن الله ﷻ يهيئ لهذه الأمة " رجالاً صمموا على أن يقاوموا العدوان وأن يستردوا الأرض المغتصبة ويستعيدوا الحق

المسلوب ، فكان **عماد الدين زنكي وابنه البطل نور الدين محمود الشهيد** الذي كان يشبه بالخلفاء الراشدين في سيرته وشجاعته والتزامه وعدلـه ، وتلميذه **المظفر صلاح الدين الأيوبي** الذي كتب الله لـه النصـر علـى الصليبيين في معركة **حطين** الشهيرة ، وفي معركة فتح بيـت المقـدس وإعادته إلى الأمة الإسلامية ، وكانت بعد ذلك معارك في مصر ، انتـهت بأسر **لويس التاسع في دار " ابن لقمان "** بالمنصورة .

وكل هذا دليل على أن الأمة الإسلامية قد تنام وقد تمـرض ولكنـها لا تموت ما دام يجري في عروق أبنائها دم العقيدة ، ومـا دام فيـها مـن يقودها بـ **" لا إله إلا الله محمد رسول الله "** .(١٠٩)

وإذا تركنا هذه الفترة من الزمن وانتقلنا إلى فترة أخرى لم تكن فيها الأمة الإسلامية بأحسن حال ، وهي فترة استشراء طاعون التتار في جسد الأمة الإسلامية حيث سقطت الخلافة الإسلامية ببغداد سنة ٦٥٦هـ ، وسـالت دماء المسلمين أنهارا ، واسود نهر دجلة من كثرة ما أبقي فيها من كتـب الحضارة الإسلامية ، لكن قد تتحقق معجزة الإسلام حينما بعث الله علـى التتار من شرد بهم من خلفهم وكسر أنوفهم ، وهـزم أسـطورتهم فـي معركة **" عين جالوت "** الشهيرة على يد القائد **" قطـز "** فـي الخـامس والعشرين من رمضان ٦٥٨هـ ، أي بعد سقوط الخلافة بسنتين فقـط ، وانتصر الإسلام في هذه المعركة مرتين :-

(١) الانتصار العسكري الحاسم **" عين جالوت "** .

(٢) دخول التتار الإسلام حينما بهرتهم أضواء العقيدة الإسلامية.(١١٠)

---

(١٠٩) د٠يوسف القرضاوي ــ دراسة نشرت بصحيفة الشعب المصرية في الأعداد بتـاريخ ٢، ٦،٩، ١٣، ١٦ فبراير ١٩٩٦م .

(١١٠) المرجع السابق .